التيارات الفكرية في أدب عبد الرحمن شكري

د/ على حسن حسين
مدرس الادب والنقد
بكلية الدراسات الاسلامية والعربية بدمياط

(شكرى) فى كلمات :

فى مدينة بورسعيد وفى أسرة مغربية الاصل ولد عبد الرحمن محمد شكرى عياد ، فى الثانى عشر من أكتوبر سنة ستة وثمانين وثمانمائة وألف ، وكان والده فى أثناء الثورة العرابية يشتغل معاونا فى الضابطية بالاسكندرية فاتصل برجال هذه الثورة وعلى رأسهم عبد الله النديم ولم يلبث أن انضم اليهم ، ولما أخفقت الثورة سجن مع من سجنوا من الثائرين، ثم عفى عنه ، وظل بدون عمل مدة ، ثم عين الضابط فى محافظة القنال ببورسعيد ومكث فى هذه الوظيفة بقية حياته ، وتصادف بعد انجابه لعبد الرحمن أن مات كل أبنائه الذين يكبرونه ، فاهتم به اهتماما خاصا وعلق عليه أمانى واسعة فألحقه أولا بالكتاب ، ثم الى المدرسة الابتدائية ونال الابتدائية فيها عام تسعمائة وألف ، ثم الى المدرسة الثانوية وتخرج فيها عام أربع وتسعمائة وألف وكان فى

والده نزعة أدبية ، ولعل هذه النزعة هى التى عقدت الصلة بينه وبين أديب الثورة العرابية عبد الله النديم بل يقال انه كان من أدباء هذه الثورة .

وكان النديم كثيرا ما ينزل عليه ضيفا بعد صدور العفو عنه كما كان ينزل عليه بعض أدباء العصر مثل الشيخ حمزة فتح الله ، وكان يصل ابنه بالرجلين ، كما كان يتعجل ايقاف موهبته بما يعرض عليه من كتابات العصر ومؤلفاته وخاصة كتاب الوسيلة الادبية للشيخ المرصفى وكان فى مكتبته ديوان ابن الفارض وديوان البهاء زهير فعكف عبد الرحمن على هذا كله .

والتحق بمدرسة الحقوق ، ولكنه لم يلبث أن فصل منها بسبب تحريضه للطلاب على الاضراب استجابة لزعماء الحزب الوطنى ، فترك التشريع ودراسة القانون ، واتجه الى دراسة الآداب التى كانت تتفق مع ميوله وتحقيقا لهذه الغاية التحق بمدرسة المعلمين العليا ، والتزم فيها بالدرس الصارم للادبيين العربى والغربى ، وكان أكثر ما يعجبه من الادب الاول كتاب الاغانى لابن الفرج الاصبهانى وديوان الحماسة لابى تمام ، أما الادب الغربى فوجد رغبته منه فى كتاب الزخيرة الذهبية الذى وزع عليهم فى فترة دراسته للمعلمين وهو يضم أروع ما للشعراء الانجليز من شعر غنائى .

ثم تخرج عام تسع وتسعمائة وألف ، وفى نفس العام ينشر أول ديوان له ويسميه (ضوء الفجر) ثم أوفد فى بعثة دراسية الى انجلترا لتفوقه فسافر اليها وأقام فيها ثلاث سنوات ، حتى انتهى من دراسته فيها وعاد الى وطنه مدرسا بمدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية ثم فى المدرسة العباسية وينشر الجزء الثانى من ديوانه ويقدم له العقاد

وتتعاقب أجزاء الديوان التى بلغت سبعة وقد ظهر الاخير منها سنة تسع عشرة وتسعمائة وألف •

وتقلب فى الوظائف الخاصة بالتربية والتعليم بين النظارة والتفتيش وفى خلال هذه الفترة كان ينشر قصائد ومقالات له فى مجلات : المقتطف والرسالة والثقافة والهلال وفى صحيفتى الاهرام والمقطم •

ثم اعتزل الخدمة عام ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف ، وآثر التفرغ لنفسه وللشعر وعاد الى بورسعيد وأقام فيها سبعة عشر عاما ، وفى سنة اثنين وخمسين أصيب بالشلل النصفى وفى عام خمس وخمسين وألف انتقل الى الاسكندرية وفيها لبى نداء ربه فى الخامس عشر من ديسمبر سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف •

ماهية الفكر

الفكر هو الذى يضمن عنصر الدقة ويساعد على تنسيق الخواطر والصور والربط بين أجزائها وتحول دون انسياب العاطفة فالشاعر يفكر بوجدانه ويشعر بعقله وعليه أن يمزج الفكر بالعاطفة حتى يتحقق بشعره ويتم له الترابط الفكرى والشعورى •

فاذا زادت العاطفة غلبت الانسياب العاطفى وهذا عيب كما قال الشاعر :

واها لسلمى ثم واها واها يا ليت عيناها لنا وفاها

فقد أكثر من واهاته ولم يبلغ أعماق النفوس ولم يؤثر فيها وكذلك اذا زاد الفكر أصيب الشاعر بالجفاف مثل الحكم التى لا ترتبط بتجاريب

شعورية وتعرض عرضـــا ذهنيا وان كان معناها صحيحا كما فى قـــول أبى العتاهيـــة :

ما أنتفع المرء بمثـــل عقله وخير زخر المرء حسن فعله

« اتجاهـــات شـــكرى الفكريـــة »

كان شكرى يسير بفكره فى اتجاهين اتجاه عربى واتجاه غربى ، وقد تعمق أشـــد التعمق فى الاتجاه الثانى وذلك بالقراءة الواسعة فى الادب الانجليزى حيث قرأ مختارات الزخيرة الذهبيـــة ورأى فيهـــا نموذجا جديدا للشعر الغنائى ، وهو نوع بعيد عن الصورة التقليدية فى الشعر العربى فليس فيه مديح ولا هجاء ، وانما فيه التعبير الواســـع عن العاطفة والتأمل الواسع فى آمال البشر وآلامها ، وكل ما يتصـــل بالحياة والطبيعة من أفكار وأنغام وهذا الاتجاه خلق فيه شاعرا وجدانيا ذاتيا بالمعنى الكامل الذى يفهمه الغربيون عن الشعر الغنائى فالشـــعر نسيج نفسه وليس نسيج الاحداث الســـياسية والعواطف القوميـــة ، ومن أجل ذلك كان أكثر النغم فى الديوان نغم الحب وهو حب محروم فيه يأس وشجن ووراء هـــذا الحب تصـــوير واســـع للنفس البشرية واحاسيسها ازاء الكون والطبيعـــة ، وهى أنغام استمدها مما قرأه فى الشـــعر الانجليزى وقد طبعت عنـــده كما طبعت عند أصـــحاب المنزع الرومانسى بالحزن والتشاؤم فهى تزيع أنات الشاعر ويأسه القاتل حتى يقول فى قصيدة بعنوان شكوى الزمان :

لقد لفظتنى رحمة الله يافعا قصرت كأنى فى الثمانين من عمرى

وطبيعى أن يدفعـــه تفكيره فى الحيـــاة الى تفكـــير واســـع فى عالم الكون والغيب وأحواله وناموس الحياة ووحدتها المطلقة وحقائقها الكليـــة .

وفى الجزء السابع من ديوانه أنشد قصيدة بعنوان (الملك الثائر) صور فيها ملكا ثار على ربه بما تمتلىء به الارض من شرور ونزل الى الارض يريد الاصلاح فهب فى وجهه العصاة والتقاة وأراد الصعود ثانية الى الملأ الاعلى فاغلقت أبواب السماء فى وجهه عقابا على ثورته وعصيانه لربه •

وقد زعم بعض النقاد أن قصيدته (حلم البعث) فى الجزء الثالث من ديوانه تصور تمردا على الايمان بالله واليوم الآخر وهى ليست أكثر من سخرية بالناس وشرورهم التى لا تفارقهم حتى بعد موتهم ولم يكن فكر شكرى وشعره ملائمين لافهام الجمهور من الناس ومرجع هذا لسببين :

أولهما : أن الجمهور لم يكن قد بلغ من النضج العقلى ما يمكنه من تذوق هذا اللون الجديد من الشعر •

الثانى : يرجع الى شكرى نفسه لانه لم يستطع أن يوازن بين جديده وبين الصياغة القديمة كما وازن شعراء النهضة •

ومع ذلك فله مع العقاد والمازنى فضل فى هذه المحاولة الجديدة التى أخرجت شعرنا العربى من دوامة التقليد ، وجعلته يطوف فى مجالات أرحب وأوسع فى العواطف الانسانية العامة والتأمل فى الكون والحياة البشرية تأملا فيه شعره عقلى جديد الى التفكير فى كل فكر والاحساس بكل احساس •

١ ــ الوجــود فى شــعر شــكرى

أولا : هــذا العــالم :

فى الوجود مجال واسع للتأمل ، والوجود عند (شكرى) عظيم مثلما هو عظيم عند غيره من الشعراء الذين أتيح لهم أن يجيلوا فيــه أنظارهم ، وتطغى عظمة الوجود عنده على :

كل ما فى الوجــود مما يريق الدمع ، أو يســتميح شجو الرحيم وهو يرى أن عظمة الوجود ليس لها حد ونهاية ، وأن الانسان عليه أن يحس ضآلته ازاء الوجود ، ذلك أمر يفرضه عليه قانون الوجود نفسه ، رضى الانسان ذلك أم كرهه ، فالقدر متســلط علينا ، ولقــد نرى فى تسلطه ايلاما ، وسخطا وشرا ، فاذا رفضــناه رفضنا الســعادة ، لان الاحساس الذى يحس السعادة لابد ــ فى رأى (شكرى) ــ أن يحس الالم ، ولان رفض الشر فى الحيــاة رفض للخير ، لان للشر قيمــة ، فالرحمة التى قد تدعو الى السخط ما كانت تكون لولا الشر ، وفى هذه المعــانى نظم (شكرى) قصــيدة (الملك الثائر) فى ثوب قصصى ، يحكى فيه عن ملك ثار من حزن ، بسائل الله فى خلق الشر ، ويطلب اليه أن يبطــل حجة الشر بكلمة حكيمة ، والا فانه ــ أى الملك ــ .. يقص الشاعر هذه الصورة العاتية(١) يبدؤها بقوله :

نبئت أن ملاكــا ثار من حزن بسائل الله فى خلق الرزيئات

ويطوى هذا التساؤل مناجاة فرضها تكلم الشر ــ أى انتشاره ــ مما استوجب الرجاء أن يوحى الله بجوامع كلمه للفصل فى هــذا الشر

---

(١) انظر التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شكرى ص ٨ للدكتور محمد السعدى فرهود ــ ط الأمانة ٣ جزيرة بدران ١٩٧٦م .

الذى استشرى ، وانتشرت منابره فى الارض ، وعلت الدعوة من فوقها للحمق والجهل ، والباطل ، والسفه ، وهى مطاياه النهوج ، ومن خلال هذه الاباطيل ترنو النفوس المستبصرة الى ضوء الحقيقة .. وحتى تحمر هذه النفوس العيش تنظر أن يرضى الله عنها ، ويعيرها لحظات الصدق(٢) :

تكلم الشر ، فابعث منك هاتفة
من الجوامع ، ترضى فى المناجاة
الارض منبره ، وهو الخطيب بها
يدعو النفوس الى هوج المطيات
فأرحم مسامع لم تسمع نجيك ، أو
نفسا لضوئك ترنو فى الخصاصات

ويعلن الملك الثائر أنه يرفض النعيم ، ويأبى الخلود ، طالما وجد الشر متسلطا على دنيا الناس ، والشقاء ضربة لازب(٣)

فما الخلود ، ولا الفردوس من أربى
ولا كمال لمعصوم السجيات
حتى أرى الناس : لا دمع ولا حزن
ولا شقاء باجرام وغمات

وسعى الملك الثائر مسعى كبيرا نحو خير البشر ، ولكنه اصطدم بما هم فيه من جشع التنافس وبالعادات المتأصلة فى نفوسهم ، فكان فيهم كمن يطلب المحال :

---

(٢) انظر : التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شكرى ص ٩ .
(٣) المرجع السابق .

سـعى الى الناس ساع نحو خيرهم
يـدر للخـير أرواحـا بكيـات
فيـا لسـعدهم لو أنهـم جنبـوا
ما يجنب السـعد من حرص المباراة

وجاءه صـوت من الجحيم ، ناداه ابليس يهون عليـه ، ويتعلل بالمشيئة الإلهية ، أن الشر يطـويه الخير ، ويعد نفسـه شـقيا باثام البشر وزلاتهـم(٤) :

ناداه فى النـار أبليس ، فقـال له
هـون عليـك ولا تولـع بأعنـات
قـد شـاء ربك أن الشر عدتـه
فى صـيغة الخير ، فى قدر وميقـات

وأعرض الملك الثائر عن ابليس ، واتجه الى ربه يستنزل لعناتـه عليه وحده ويحمل عن الخلق شقاءهم ، ليظهروا هم من الاثام ، ويبتغوا الخـير ، فما وجدت لها فى الجحيم ، ولا فى النعيم قرارا فأصـابتها الحـيرة :

فخـلفت روحـه كالطـير سـابحة
فى الجـو تنشـد خضر النباتات
طارت الى المـلأ الاعلى فما لقيت
لهـا قرارا ، ولم تظفـر بمهـواة
لا فى الجحيم ولا الفردوس مسـكنها
حيرى المسـالك من فقـد القرارات

---

(٤) انظر التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شكرى ص ٩ ، ١٠ د/ محمد السعدى فرهود .

وجاءه صـــوت من السماء أن البشر يربحون من كوارث دنياهم ، وأن الشر والخير قرينان لمـــا يرجى افتراقهما وأن العقل البشرى انمـــا ينمو بسبب كفاحه آلام الحياة وشرورها ، فالذى يريد حياة لا شر فيها يريد انسانا لا عقل له ... ولو خلت الحيـــاة من الشر ما عرفت النفس الانسانية الرحمة(٥) :

الخـــلق للخـــلق ربح ، لو فطنت لـــه
كمغنـــم الحـــى من أســـلاب أمـــوات

والشر والخـــير لا يرجـــى افتراقهمـــا
فارفض ــ اذا اسطعت ــ نعمائى ولذاتى

حتى العقول ، وحتى الفضـــل أجمعه
ولـــذة النفس ــ فى بذل المـــروءات

برحمـــة قـــد نماهـــا الشر تنقمـــــه
ورحمـــة المـــرء من وخـــز المصـــيبات

فالشر للخـــير مردود ، وان اســـــيت
منـــــه النفـــوس بانـــات ، وآهـــات

ثانيـــا : الانســـان :

والانسان ــ محور هـــذا الوجود ــ يراه شكرى راغبا فى الشر وفى الخير ، لمـــا بينه وبين الحيوان والربوبية من صلة ونسب ، فهو بينهما كالارجوحة ، يمن ويأمل ، ويشجن ويطرب ، ويشوق الى ماضيه حياته ، وينشـــد فى المستقبل أحلامه ، وسيضنيه آخـــر الامـــر تنقله وتقلبه ، لان الزمان قد اتخذ قلبه منزلا ، ونفســـه ملعبا ، فهو ــ أى

---

(٥) انظر : التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شكرى ص ١١ د/ محمد السعدى فرهود .

الزمان — يحركه على مسرح الحياة ، يقول الشاعر عن هذا الانسان(٦) :

حيوان مهذب ؟ ! أم اله معذب ؟ !
صرح الخير والاذى فيه ، والخير أغلب
فالى العجم نسبة والى الله ينسب
وهو فى الشر يرغب وهو فى الخير يرغب

ثم يتساءل الشاعر عن أمانى الانسان ، وأطماعه ، وعن رغباته فى حياة أكمل من حياته الحاضرة ، أتكون فى الحقيقة تذكرا للحياة الماضية ، وشوقا اليها(٧) يقول الشاعر :

فهل هذه المنى والمساعى تقرب
لحياة قبل الحيا ة وعيش لا يكذب

ويذكر الشاعر أن مآل الانسان أن ينتقل ، وما لذة العيش الا فى التنقل وان التغير لازم للبقاء ، وأن التطلب لضيق الحياة ، والزمان كالسيل الآتى يفترش ساح الحياة ويضع بصماته على أنحائها(٨) :

فالمآل التنقل والمآل التقلب
والبقاء التغير والحياة التطلب
أو ما تبصر الزما ن آتيا لا ينضب
وهو للعمر مالىء وهو للعمر يسكب

ومن هنا تأتى محنة الانسان الازلية ، فقد أودعه الله منذ خلقه

---

(٦) راجع : الانسان والزمن جـ ٢ ص ١٣٦ من ديوان شكرى الجامع

(٧) انظر : التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شكرى ص ١٤ للدكتور / محمد السعدى فرهود .

(٨،٩) المرجع السابق ص ١٤ ، ١٥ .

دواعى الحيـاة والموت ، وبواعث الطهـر والاثم ، والضحك والبكاء ، والحب والبغض ، والذكرى والامل ، وما الى ذلك من سائر المناقضات فى الميل والوجدان ، والاحساس،وهو انما يدور دورة الفلك المرسومة دون أن يجنى شيئا غير سخرية القدر به ، وفى هذا كله يترجم شكرى عن الشاعر الانجليزى سوينبر قصيدة عنوانها (عند خلق البشر)(٩) وهى احدى القصائد التى لم يضمها ديوان (شكرى) فى طبعة سـنة ١٩٦٠م ومطلعها كالآتى :

أتى فى قـديم العصـر ... ليشـهد خلق البشـر
زمـان بكأس الدمـوع ... وخمر همـوم وضـر
ولـذة عيـش قصـير ... لـه بالاسـى مختمـر
وأزهـار صـيف تروق ... وسـرعان ما تنتشـر

وشاعرنا (شكرى) يؤمن بالشباب ، ودوره فى النهضة ، وقـد أراد أن يعقد بينه وبين المشـيب مقابلة ، فأنشأ قصيدته (بين الثريا والثرى) وأوحت استعارته هذين اللفظين بحركة المقابلة فى نفسـه ، فالشباب لهم الرفعة ، والعزم ، واليقظة ، وقوة الاحتمـال ، وتحـدى الصروف والخطوب وتأميل الخلود ، والسمو عن الخوض فى الخرافة ، والايمان بالكهانة ، يقول الشاعر عن الشباب(١٠) :

تذكرنى الشباب وقد علونا ... به فوق المجـرة والنجوم
نحن الخالدون وكان حقا ... خلو الخالدين من الهمـوم

وفى الطرف المقابل نرى المشيب يرقبون الحياة حذرين ، باخلين ،

---

(١٠) راجع : التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شـكرى ص ١٢ للدكتور / محمد السعدى فرهود ط الأمانة بالقاهرة ١٩٧٦م .

أذلاء ، يطل الموت من كثب عليهم ، وتروعهم الصروف بكل خطب ، فتذهب جدة الحياة ، وتصبح أطمارا ، يقول الشاعر عنهم :

صحونا للحياة وما تراه ... من الخلق المقبح والذميم
فمن حذر الى بخل وذل ... وسوء الظن بالخل الحميم
أظل الموت من كثب علينا ... وظل الموت أصبح كالنديم
تروعنا الصروف بكل خطب ... وخطب الموت آهون للفهيم

واذا تأملنا فى هذه القصيدة ، والتى قبلها نلمس فكرتين : أدارهما شكرى فى كثير من شعره ،

فالفكرة الاولى : تدور حول مبدأ القوة ، واعتباره أساسا للحياة الكريمة وأنه ينبغى أن نأخذ سبيل الطموح والعزم ، ونتحدى ما يعوق خطواتنا على درب المجد .

والفكرة الثانية : أن عمل الانسان ، وما يبدو من عزمه ، ونشاطه ، أو ضعفه وفتوره ، مرده الى داخل ذاته ، فهو يتحرك للعمل ، بمقدار ما تتحرك نوازعه ، وخواطره ، ودوافع نفسه(١١) .

وفى قصيدة (الامل) نرى شكرى يصور أثر الامل فى الحياة الانسانية وأنه سبب العمران ، ويسلم الاحزان ، وأنه من رحمة الله(١٢) ، فقال :

---

(١١) راجع التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شكرى ص ٢٢ للدكتور / محمد السعدى فرهود ط الأمانة بالقاهرة ١٩٧٦م .

(١٢) انظر الاعلام عبد الرحمن شكرى ص ١٧٨ : ١٧٩ للدكتور / احمد عبد الحميد غراب مطابع الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٧م .

أيا بهجة العمران لولاك لم يكن فلا شيد البانى ولا كد كادح
اذا اشتدت اللاواء زدت تألقـا كذاك سواد الليل للنجم قادح

ونراه يصـور ضحكات الاطفال البريئة التى تبعث البهجـة فى القلوب ، وتعيد الشباب ، وتطرب النفس كالموسيقى(١٣) ، فقال :

ضحكة ردت المشيب شبابا وأماتت من الوجوه الشحوبا
ضحكات كأنهـا نغمـات تترك الغـافل الغبى طروبا

ونراه يعلق مستقبل الانسانية على طموح الشباب الى المثل العليا ويحث الشباب على تغيير هذا العالم الى عالم أفضل ، وذلك بأن يحطم الطاغوت ، ويقيم شريعة الله(١٤) فقال :

فعسى الشباب بمقبل من دهره يبلو الحياة بعزمه ، وأمانى
ويسـن للدنيا الوسيعة سـنة لا سنة للحرص ، والحرمان

وفى احدى قصائده المتأخرة ، وهى قصيدة (النشوء والارتقاء) ينظر شكرى الى ما أحرزه الانسان فى ظل الحضارة الغربية الحديثة من تقدم علمى ، ويرى أن هذا التقدم لم يصحبه تقدم اخلاقى ، فالانسان ما زال فريسة لغرائزه ، وشهواته ، وعبدا لبطنه ، وفرجه ، وبالرغم من انجازاته العلمية الهائلة فما زالت حياته تعسة مليئة بالاحزان والآلام ، واذا كان الانسان الحديث قد اخترع ميزانا يزن به (الذرة) فانه لم يستطع حتى الآن أن يخترع ميزانا للحياة تتحقق به السعادة(١٥) ، فقال :

---

(١٣) انظر الاعلام ـ عبد الرحمن شكرى ص ١٨٠ للدكتور / أحمد عبد الحميد غراب .
(١٤) المرجع السابق .
(١٥) المرجع السابق ص ١٢٥ : ١٢٦ .

أراك فريسة الجوعيـ ن : سغبانا ، وشهوانا
بربك أيها الانسا ن لم أصبحت انسانا ؟
بعقل يبلغ الشمـ س واقصى الكون عرفانا

ثالثا : النفس :

تناول (شكرى) النفس ، وهو لم يتناولها كتناول الباحث عن ماهيتها ، المفكر فى كنهها ، وانما حديثه عنها هو حديث الشاعر بها وبما يلذها ، وبما يهتاجها ، و (شكرى) يرفض أن تكون لذة النفس مستقلة عن لذة الجسم ، لان كل لذة نفسية فيها لذة مادية ، وكل لذه مادية فيها لذة نفسية أو روحية ، فالحس باب النفس ، ومصدر غذائها وفى هذا يقول(١٦) شكرى :

كم من صلات بين نفس الفتى وبين موجودات هذا الفضاء
والحس باب النفس كم والج منه اليها بالحجى ، والغباء

والشعر عند (شكرى) هو وصف الحالات النفسية ، والمواقف العاطفية والاحساسات المختلفة ، وكل ما يتفاعل به العقل المفكر مع الشعور الحى المثقف وقصائد (شكرى) صور كاملة لرسم النفس ، وحالاتها ، والوحى أو الهاتف عند (شكرى) معناه استكمال المعنى فى ذهن الشاعر ونضوجه فى نفسه واستيفاء الاحساس به(١٧) ..

وقال أستاذنا الدكتور / مصطفى محمود يونس فى كتابه (من أدبنا المعاصر) لقد أخرج شكرى ديوانه (ضوء الفجر) سنة ١٩٠٩م

---

(١٦) انظر : التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شكرى ص٢٢ : ٢٣ للدكتور محمد السعدى فرهود – ط الأمانة بالقاهرة سنة ١٩٧٦ .

(١٧) الأدب العربى الحديث ومدارسه ص ٥١ للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى ط دار الطباعة المحمودية بمصر سنة ١٩٧٤م .

فكان أول محاولة له فى هذا السبيل ، اتبع فيه الاتجاه الجديد ، حيث عالجت قصائده معانى انسانية عامة ، تنبع من قلب صادق الاحساس بمشاعره ، وبما توحى به الطبيعة من حوله ، فهو شعر ذاتى كامل الذاتية ليس شعر المجتمع ، أو شعر مديح ، وانما حديث نفس تترجم عن دخائلها ، ووساوسها ، وآلامها ، وأحلامها ، كما تترجم عن الكون وطلاسمه ، وألغازه ، وما يحمل بين جوانحه من حقائق ، وأسرار ، هذه النزعة الذاتية تقترن بتشاؤم حاد ، فالحياة تستغرقها الآلام البشرية تتقاذفها متاعب الحياة ، وهو يصور ذلك فى حزن عميق مغلف بالكآبة والسواد .. كل ذلك يتراءى أمامه كأنه بحر يغير ضفاف(١٨) فقال :

يحوطنى منك بحر لست أعرفه	ومهمه لست أدرى ما أقاصيه
أقضى حياتى بنفس لست أعرفها	وحولى الكون لم تدرك مجاليه
كأن روحى عود أنت تحكمه	فابسط يديك واطلق من أغانيه

٢ ـ الاصلاح الاجتماعى فى شعر شكرى

يتركز اهتمام شعر (شكرى) بالمشاكل الاجتماعية فى الديوان الثانى بوجه خاص ، وهو الديوان الذى صدر سنة ١٩١٣م عقب عودته من انجلترا (وقد كتب بعض قصائده هناك)(١٩) .

ويبدأ هذا الديوان بقصيدة (حياة الامم أو التجدد والتغير) وفيها دعوة قوية الى التجديد فى حياة الامة المصرية ، ونبذ العادات القديمة ،

---

(١٨) انظر : من أدبنا المعاصر ص ٦٨ للأستاذ الدكتور / مصطفى محمود يونس عميد كلية اللغة العربية بأسيوط سابقا ط سنة ١٩٨٢م .

(١٩، ٢٠) انظر الأعلام ـ عبد الرحمن شكرى ص ١١٥ للدكتور / أحمد عبد الحميد غراب مطابع الهيئة العامة المصرية سنة ١٩٧٧م .

والتقاليد البالية ، فالتمسك بالقديم (لمجرد أنه قديم) يجعل الحياة الانسانية راكدة آسنة ، بينما يجعلها التجديد متدفقة كماء النهر ، والتجديد الى ذلك سنة حتمية من سنن الوجود ، وقوانين البقاء ، فهو كالسيل العرم يجرف كل من يقف فى طريقه ، ومن ثم ينذر الشاعر المتمسكين بالقديم ، الواقفين فى طريق التقدم ، بأن مصيرهم الهلاك لا محالة ، ويتهمهم بالجبن ، لانه لا يخشى الجديد الا الجبناء الذين يرسفون فى اغلال الماضى(٢٠) فقال شكرى :

فقل للغافلين ــ اذا أصاخوا ... حياتكم هى الداء العضال
ستنفذ فيكم الاقدار حكما ... ويرجمكم بأنكده المآل
وهل يخشى الجديد سوى جبان ... له من حب آقدمه عقال

وفى هذا الديوان يهتم شكرى اهتماما خاصا بالمشاكل الاجتماعية الملحة على المجتمع المصرى فى ذلك الوقت ، ولا سيما مشكلة المرآة والاسرة .

ففى قصيدة (امرأة تكلم زوجها) ينتقد ــ على لسان امرآة ــ الطريقة التى كان الرجل يعامل بها زوجته فى تلك الفترة فيعتبرها قطعة من الاثاث ، أو عقارا يملكه ، أو سلعة يتصرف فيها ، كأنه لا احساس لها ولا كرامة ، وهذا الى جانب سوء ظنه بها ، وطول اهماله اياها ، فالعلاقة بينهما كانت تشبه علاقة السيد بالعبد ، أى علاقة تملك وسيطرة لا علاقة محبة ومودة ، كما ينبغى أن تكون العلاقة بين الرجل وزوجته(٢١) فقال :

---

(٢١) انظر الأعلام ــ عبد الرحمن شكرى ص ١١٦ : ١١٧ للدكتور أحمد عبد الحميد غراب ــ مطابع الهيئة العامة المصرية سنة ١٩٧٧م .

ليس الجمال عقارا أنت مالكه ان الجمال جمال الله والناس

الى أن يقـــول :

لا يطعم البعل منكم حب زوجته فليس يعرف فيه غير ارجاس
لا يصحب البعل منكم روح زوجته دعم الوداد بأطناب وأســاس

وفى قصيدة (نعمى الزواج) يصور (شكرى) لذة الحياة الزوجية القائمة على الحب والتفاهم ، نعيما للرجل ، والمرأة معا ، ومؤثلا لهـا من عنت الحيـاة ، وحاجزا بينهما وبين الاهواء والشـهوات ، وينوه بقداسة عقدة الزواج ، وكأنه يريد أن ينبه الرجال فى عصره الى أن هذه العقدة لا ينبغى أن تحل بالطلاق لأوهى الاسباب كما كان يحدث فى ذلك الحين ، ونراه ينادى بسفور المرأة ، ويرى أنه ضرورى لايجاد التفاهم والمحبة بين الشباب والفتاة قبل زواجهما(٢٢) فقال :

أطلقوا عن عرسه حتى يراها ويرى أين هـواه من هواها
واحسبوها لو أردتم سـلعة يترجى عرضها قبـل شراها
كيف يهـوى غادة لم يرهـا يافع أبدت له الدنيا صـباها

بل يرى (شكرى) أن سـفور المرأة فى المجتمع فيـه نوع من التهذيب والتربية للرجال ، ففى جمالها يقظة للحس والشعور ، ودعوة الى السمو ، والى شرف الحب(٢٣) .

---

(٢٢) المرجع السابق ص ١١٧ : ١١٨ .

(٢٣) راجع الأعلام ـ عبد الرحمن شكرى ـ ص ١٩٩ ـ للدكتور / احمد عبد الحميد غراب .

وفى نفس الديوان يعالج بعض مشاكل الطفولة ، ولاسيما مشكلة اليتم والمرض وفى قصيدة (اليتم) لا يهتم بوصف المظهر الخارجى لليتم ، وانما يهتم بتصوير نفسيته وما احدثه اليتم فى نفسه من أسى ، بل من ضغينة ، وحقد على الناس ، وعلى المجتمع(٢٤) فقال :

يرى كم أم بابنهـا مستعزة ... وهيهات أن يحنو عليه حبيب
يسائله الغلمان عن شأن أهله ... فيحزنه ألا يجيب مجيب
اذا جاءه عيد من الحول عاده ... من الوجد دمع هاطل ووجيب

وكذلك يعالج (شكرى) مشكلة الفقر ، والجريمة ، فيطالب بالغاء عقوبة الاعدام ، لانها فى رأيه محاولة لمحو الجريمة بجريمة أخرى ، كما يطالب بتحويل السجون الى معاهد لتربية المجرمين وتعليمهم ، ويلتمس فى الفقر عذرا لهم ، فان (الفقر كافر) .. وينذر الاغنياء الذين (أذوى النعيم قلوبهم) بثورة مدمرة تطيح بهم ، اذا لم يسرعوا بمعاونة الفقراء(٢٥) .

وفيما عدا هذه المشاكل الاجتماعية الجزئية ، فان اهتمام (شكرى) فى شعره يوجه عام يتوجه بصورة أوضح وأعمق الى القضية الكبرى التى تكمن وراء هذه المشاكل كلها .. وهى قضية الاصلاح أو الحل الجذرى لمشاكل المجتمع جملة(٢٦) .

وهنا يطالعنا (عبد الرحمن شكرى) المفكر الاخلاقى مرة أخرى ، فان الحلول الجذرية التى يقدمها ترجع فى حقيقتها الى الحل الاخلاقى ، وذلك لان هذه الحلول تقوم على طريقتين متكاملتين :

---

(٢٤) المرجع السابق ص ١١٩ .
(٢٥) المرجع السابق ص ١٢٠ .
(٢٦) المرجع السابق ص ١٢٠ .

الاولى : وجود القيادة الصالحة التى تقوم بمهمة التغيير •

الثانية : نشر التعليم بين أفراد المجتمع •

أما عن الطريقـــة الاولى : فقد كان (شكرى) يؤمن ايمانا عميقا بالدور الفعال الذى يقوم به الخاصـــة أو النخبة الممتازة من عظمـــاء المصلحين والمجددين ، ليس فى تغيير المجتمع فحسب ، بل وفى تغيير مجرى التاريخ البشرى كله ، وقد عبر عن هذه الفكرة فى عدة قصائد ، لعل من أروعها قصيدة (مصارع النجباء) وفيها يرى أن جمال الحياة انما هو هبة من هؤلاء العباقرة المصلحين • فلولا طموحهم الى الكمال ، وسعيهم الى تحقيقه ، لظلت الحياة مقفرة كالحـــة ، ويصورهم حالمين بالمجد ، غاضبين على الانحطاط ، بنائين هدامين ، مبدعين مشرفين ، بل أنبيـــاء ومرسلين ••• وسيرتهم وتضحياتهم تظل منارات خلقيـــة تهتدى بها البشرية بعد موتهم(٢٧) فقال :

ان الحيـــاة جمالها وبهاؤها هبـــة من النجباء والشهداء
لولا طمـــاح الحالمين وهمهم بقى الورى كالتربـــة الغبراء
الحالمـــون بكل مجد خالـــد سامى المنال كمنزل الجوزاء

الى أن قـــال :

فحياتهم وفعالهم ودماؤهم مثل الهدى والكواكب الاسراء

وأما عن الطريقة الثانية فقد ندد (شكرى) بالجهل فى عدد من قصائده ودعا الى نشر العلم كوسيلة رئيسية للتقدم(٢٨) •

---

(٢٧) انظر : الاعلام ـ عبد الرحمن شكرى ص ١٢١ : ١٢٤ للدكتور احمد عبد الحميد غراب •

(٢٨،٢٩) انظر الاعلام عبد الرحمن شكرى ص ١٢٣ للدكتور أحمد عبد الحميد غراب •

فمنذ ديوانه الاول (الصادر سنة ١٩٠٩) نراه يدعو الاغنيـاء الى التبرع بسخاء لانشاء أول جامعة مصرية ، ونراه يصـف مصر فى تلك الفترة بأنها تبدو بدون العلم (كالبناء المهدم)(٢٩) .

واذا تأملنا فى قصيدته (صوت النذير) نراه يدعو المصريين الى الاخذ بالعلوم الحديثة ، ولاسيما العلوم العملية التطبيقية منها ، وهو فى هذه القصيدة يؤكد أن التفوق العلمى ــ لا التفوق الحربى ــ هـو السبب الحقيقى فى تقدم الاوربيين(٣٠) فقال :

بعض العلوم الى الاعمال منتسب وأحسن العلم ما يجدى به العمل
هذا السلاح الذى يدحو لهم سبلا فى مجدهم لا القنا الخطية الذبل

ولذلك كان (شكرى) لا يقيم وزنا للجماهير الجاهلة مهما كثـر عـددها فقـال :

وكم من جموع ليس تعدل واحدا فان ظلام الجهل فى الناس كالعمى

ومن الخطأ أن نظن أن (شكرى) ــ المفكـر الاخلاقى ــ كان يعتقد أن التفوق العلمى وحده بدون الاخلاق ، كفيل بالتقدم ، فالواقع أنـه كثيرا ما يقرن التفوق العلمى بالسمو الخلقى ، كما يقرن الجهـل بانحطـاط الاخـلاق .

ففى قصـيدة (صوت النذير) وهى فى جوهرها نقـد أخلاقى تنتهى بالدعوة الى الاخذ بالعلوم الحديثة ، على أمل أن يؤدى انتشار التعليم الحديث الى اصلاح الاخلاق(٣١) .

---

(٣٠) انظر المرجع السابق ص ١٢٤ .
(٣١) نفس المرجع السابق .

٣ ـ نزعة التشاؤم عند (شكرى)

أولا : الحياة فى شعر شكرى :

والحياة عند شاعرنا (شكرى) أن تتلذذ بحسوها كما يتلذذ بالخمر شاربها ، ونغالب أخطارها ونستمرىء هومها ، ونعتاد خطوبها ، فإن من سكر من خمر الحياة لا يخشاها مثلما لا يخشى السكران مما يقع له ، وأن من عرف الحياة سهاما تجرح لم يبال جراحها مثلما يصبر الظمآن على الظمأ فيعتاد تحمله(٣٢) .. أشار الى هذا (شكرى) فى قصيدته (علالة العيش) :

وما العيش الا خمرة أنا شارب ... فهل رائعى أن الخطوب أمام
وهل يفرق النشوان من صرف دهره ... ويشقيه من وقع الخطوب لمام

ومن فن الحياة عند (شكرى) أن ننتهزها ، ونتجلد لها ، ونحسو كأسها فى دعة ، ولا نفكر فى مصادرها أو مصابيها ، ولا نبالى عزها ، أو هونها ، فان جاءك الهم منها فدار الناس كلهم عنه ، ولا تكشف لهم عن آلامك ، لان برهم بظنون ، وتضاحك فى وجوههم ، لكيلا تظهر لهم المبالاة ، وقل لهم دائما « ان هذا الدهر مجنون »(٣٣) ، وأشار الى هذا بقوله :

انما الدنيا لذى جلد ... ورأيه بالعزم مقرون
هذه الاقدار محدقة ... غر منها الضيق واللين

الى أن قال :

فتضاحك ، ثم قل أبدا ... أن هذا الدهر مجنون

---

(٣٢) انظر : التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شكرى ص ٣٦ للدكتور محمد السعدى فرهود ط الأمانة بالقاهرة سنة ١٩٧٦م .
(٣٣) المرجع السابق ص ٣٧ .

ومن العجيب أن ينهى (شكرى) هنا عما حدث عليه من قبل من انتهاب العيش وانتهاز الفرصة لذلك ، وينفى أن يكون ذلك صواب الرأى ، ويعلل له بأنه يجعل الناس عبيدا للذاتهم ، وهو أمر غير مقبول فى العقل(٣٤) ، فأشار بقوله :

لا تسمعن مقالا قال قائله ... وما أصاب صواب الرأى فى الكلم
اضحك ولذ ، فان العيش منتهب ... وأضيع الامر عيش حيط بالعدم

وواضح أن (شكرى) قد تأثر بما ساقه فى قصيدته ، من غفله الناس عن الحق وصراعهم الدموى فى سبيل الباطل ، ومقالته تلك لا ترد على دعوته لانتهاب العيش ، لانها المقالة الفريدة بينما دعوته لانتهاب العيش قد برزت فى أكثر من قصيدة ، ولانه تحدث عن الحروب البشرية أكثر من مرة فلم يكرر تلك المقالة(٣٥) .

ونسارع الى القول بأن دعوة (عبد الرحمن شكرى) لانتهاب العيش ليست ناشئة عن فلسفة عملية ، أو رأى فى خطر وقيمة الملذات والشهوات ، وانما هى دعوة ناشئة عن تصور قاتم للذات الحياة فى عالم المدنية ، يميت الامل فى النفس ، فيغرقها فى اليأس ، ويرحل بها الى مجاهل الالم ، فاذا استسلمت للوحدة والعزلة والانفراد كانت الفرصة مهيأة لاقتناص العيش الغارق فى هذا المحيط الكالح(٣٦) .

وشاعرنا (شكرى) ذو حس دقيق لامور الحياة ، ومواقع هذه الامور من عاطفته وانه ليسره أن تكون الحياة أسعد حالا ، وأكثر

---

(٣٤) انظر : التيار الفكرى فى شعر عبد الرحمن شكرى ص ٣٩ للدكتور / محمد السعدى فرهود ط الأمانة بالقاهرة سنة ١٩٧٦م .
(٣٥) المرجع السابق ص ٣٩ .
(٣٦) المرجع السابق ص ٤٠ .

انصافا ــ فلا تستكثر عليه أسا ، مما تمتلىء به الحياة من نفاق وظلم وشقاء ، على أن له (رغبة فى العيش) يمليها أمله فى أن يصنع للأيام محمدة ، تعود بالخير أو تعين على الشر(٣٧) ، فأشار بقوله :

ولولا رجـائى أن أقول مقالة ... تعـود بخير أو تعين على شر
لمـا كان لى فى بسطة العمر رغبة ... ولم أحمد الايام أن زيد فى عمرى

وفى الحقيقة أن (شكرى) هو أول من عبر عن هذه الصـورة الجديدة من شعرنا الحديث ، فقد نشر سنة ١٩٠٩م ديوانه (ضـوء الفجر) وهو يخلو من المديح ومن السياسة والعواطف القومية فى حين يكتظ بمشاعر الحب وبتأملات فى النفس والطبيعة والوجود ، ويغشى ذلك كله حزن قاتم واحساس عميق بأن الحياة ترزح تحت آلام وشرور لا حد لها ولا حصر(٣٨) .

ثانيا : الموت فى شعر شكرى :

وحين نتتبع هذا الموضوع فى شعره نجد أن موقف شكرى تجاه الموت لم يثبت على حالة واحدة ، بل تطور ومر بمرحلتين :

المرحلة الاولى : مرحلة الفزع منه ، وتصوير مظاهره ، وآثاره تصويرا مفزعا ، ولاسيما ما يتصل بالموتى والقبور ، وما يفعله المـوت بالجسد البشرى ، وبالجمال ، وبخاصة جمال النساء ، وجمال الحبيب .

---

(٣٧) المرجع السابق ص ٤١ .

(٣٨) انظر فصول فى الشعر ونقده ص ٢٩٠ للدكتور / شوقى ضيف ط دار المعارف بمصر ــ سنة ١٩٧١م .

وهذه المرحلة تظهر بوضوح فى الديوانيين الثانى والثالث ، يسمع للموتى صوتا ويصوره تصويرا مفزعا(٣٩) فيقول :

ألا ان للأمـوات صـوتا كأنـه خرير المياه الجاريات على الصلد
ويحكى حفيف الغصن فى لين ودعة وطورا كاصراء الطبول على بعد

ويرى (ضوء القمر على القبور) ، فيصور هـذا المنظر المفزع الذى يحكى كمـا قال (فناء الجمـال فى المـوت ، وفناء المـوت فى الجمال)(٤٠) ويصف ما يفعله الموت بجمال النساء ، فيقول :

قمن يرفلن فى الليالى السود بعـد أن صرن طعمة اللدود
بعد أن كن للعيـون جـلاء فانتـات بأعين ، وخـدود

والمرحلة الثانية : هى مرحلة قبول الموت ، ليس لانـه النهايـة المحتومة فحسب ، بل لانه السبيل الوحيد لخلاص الانسان من شـقاء الحياة ، وخلاص الروح من قيود الجسد ، ولانه الحقيقة التى تكشف أن الحياة وهم ، وأن مساعى الانسان فيها غرور(٤١) .

وفى هذه المرحلة تستريح نفس الشاعر الى الموت ، بل وتبرره تبريرا فلسفيا ومن ثم يتمنى الشاعر الموت ، ولكن بلا فزع ، ويتحول التصوير المفزع لمـا يفعله الموت بجمال الجسد الى تسـاؤل فلسفى عما يفعله الموت بعقل الانسان وملكاته ، ومشاعره(٤٢) .

وهذه المرحلة تظهر تدريجيا فى الديوان الرابع ، وما بعده .

(٣٩، ٤٠) راجع : الاعلام ـ عبد الرحمن شكرى ص ٢٠٤ : ٢٠٦ للدكتور أحمد عبد الحميد غراب ـ مطابع الهيئة المصرية سنة ١٩٧٧م .

(٤١، ٤٢) راجع : الاعلام ـ عبد الرحمن شكرى ص ٢٠٧ للدكتور/ أحمد عبد الحميد غراب ـ مطابع الهيئة المصرية سنة ١٩٧٧م .

ففى قصيدة (وعظ الموت) يعبر الشاعر عن قصر الحياة ، ومرورها مر السحاب ، وأن شقاءها يهون لديه الموت ، كما يعبر عن لؤم الناس من بكائهم لموتاهم لانهم لا يبكون الميت لمصيبة حلت به ، بل لمصيبة حلت بهم ، وهى أن حياته نافعة لهم بوجه من الوجوه ، ولكن لماذا نبكى الميت ؟ أليس فقدان هذه الحياة سعادة ما بعدها سعادة ؟ أليس الموت يحقق للانسان الامن والخلود ؟(٤٣) فأشار بقوله :

هل العيش الا ساعة ثم تنقضى ؟ هل الدهر الا أشهر وعصور

الى أن قال :

ونبكى لموتانا لان حياتهم منافع تغنى فى الخطوب ، وخير

هذا . وكان الموت (لشكرى) بالمرصاد ، يطالعه فى كثير من شعره الذى لم يخصصه للحديث عن الحياة والموت ، فهو دائما يستدعى الموت ، ويقبل عليه ، ويوحى اليه بخواطر ، ألقى المجتمع السادر فى غيه عليها ظلالة ، وفى شعره الغزلى بخاصة نشهد هذه الظاهرة فى مواقف الهواية ، والهجران ، حين يحلو له أن يشهر سلاحه التشفى بالموت من حبائبه ، وقد عددنا له فى هذا وذلك أكثر من مائة قصيدة ، ومقطوعة(٤٤) .

تلك هى صورة تأملية فى شعر (شكرى) قد تناولناها بشىء من الاختصار والايجاز .. وشعر شكرى فى معظمه شعر يصور حالاته النفسية ، وتجاربه الذاتية .. انه شعر تأملات سلط فيه الشاعر فكره على وجدانه الداخلى .. ومن ثم كان أوجز وأصدق ما يوصف به (عبد الرحمن شكرى) انه شاعر التأمل والفكر والوجدان .

---

(٤٣) المرجع السابق ص ٢٠٨ .

(٤٤) المرجع السابق .

ويقول الدكتور / محمد مندور عن (شكرى) انه شاعر التأملات النفسية ، والاستبطان الذاتى(٤٥) .

وقال فيه العقاد : « ان شعر شكرى لا ينحدر انحدار السيل فى شدة ، وصخب وانصباب ، ولكنه ينبسط انبساط البحر فى عمق وسعة ، وسكون » أو على الاصح ، بم يتميز شكرى منذ انتشرت مدرسته فى جو من التحاسد والتكالب على الشهرة ؟ لقد عنى شكرى بالجانب الفكرى التأملى ، وبتحديد ، ما خلفه أمثال المعرى ، وابن الرومى ، وملتون ، وبوب ، وبالمزاوجة بين هذه التأملات الفكرية النفسية والتأثرات الوجدانية ، والانطباعات الصوفية والعاطفية والطبيعية(٤٦)

وقال فيه الشاعر مختار الوكيل فى كتابه (رواد الشعر الحديث فى مصر ص ٤٦) « أما شاعريته ، فتحتضن الحياة جميعها ، وتصور الوجود بأسره ، لانه شاعر عبقرى لا يقف دون التعبير عن شعوره حيال الكون كله »(٤٧) .

الدكتور / على حسن حسين
مدرس الادب والنقد بكلية
الدراسات الاسلامية والعربية بدمياط

---

(٤٥)

(٤٦)

(٤٧) رواد الشعر الحديث فى مصر ص ٤٦ مختار الوكيل .